تعليمية النص السردي:

قصة:"مجرد بطاقة" لأبي العيد دودو أنموذجا

د .جميلة قيسمون

جامعة قسنطينة 1

مقدمـــــة:

تعرف النظريات النقدية في الأدب تطورا ملحوظا مسايرا للتطورات التي تحدث في كافة ميادين العلم والمعرفة. والمفروض أن يستفيد النص الأدبي من هذه الدراسات. لكن رغم تطور البحوث حول مناهج تحليل النص في لغات مختلفة وحتى في اللغة العربية، إلاّ أنّ عملية تعليمه لازالت تعاني من الجمود والتقوقع في ظل ممارسات نقد استهلكت مضامينه وأصبح في بعض الأحيان عاجزا عن تفجير معان جديدة للنص. كما أن بعض الأساتذة الذين يطبقون الاتجاهات المعاصرة في تحليل النصوص لاتزال تطبيقاتهم قاصرة؛ وذلك إما لعدم الاستيعاب الكافي لمفاهيم هذه النظريات، أو لعدم تكييفها مع خصائص النص العربي

ويلاحظ أن الكثير من الطلبة يشعرون بنوع من عدم الارتياح تجاه عملية تعلم النص الأدبي. ويكتفي الطلبة على وجه العموم بانتقاد البرامج وكيفية اختيار المؤلفين وانتخاب النصوص، وأيضا طريقة وضع الأسئلة في الامتحانات من طرف الأساتذة. بينما عندما تتاح لهم فرصة المناقشة حول أسباب عدم ارتياحهم تجاه مناهج تحليل النصوص، نجدهم ينتقدون بالدرجة الأولى تكوين الأساتذة. ولذا نجد الكثير من الطلبة يتابعون دراسة الأدب واللغة العربية من أجل النجاح في الامتحانات، والحصول على شهادة، وليس لغاية تذوق النصوص الأدبية والتفاعل معها، والدخول في عملية تواصل ذاتي وعميق مع ما تحمله هذه النصوص من قيم فكرية وجمالية وفنية، ثم ممارسة التحليل بأنفسهم. ولعل هذا هو السبب في وجود روح اللامبالاة عند جل الطلبة.

إذن أصابع الاتهام موجهة إلى انعدام الاهتمام بالكيفية التي يقدم بها هذا النص للطلاب، أي تعليميته وبالتالي انعدام العمل على تمكينهم من الأدوات التي تساعدهم على قراءة النصوص وتحليلها بأنفسهم. فالجانب التطبيقي؛ وتدريبهم على الممارسة المستقلة تكاد تكون مهملة نهائيا.

والحقيقة أن تعليمية النص الأدبي قضية طرحت نفسها منذ القديم؛ وهي في عصرنا الحالي أضحت إشكالية تفرض نفسها بقوة و اهتمام متزايد. وبخاصة فيما يتعلق بتعليمية نصوص الأدب العربي.

مما سبق ذكره، يمكن القول أنه يجب تدارك هذه الوضعية والبحث عن آليات لتعليم النصوص تتكيف أكثر مع طبيعتها، وتدفع الطالب إلى أن يتفاعل معها.

لذا رأينا من الضروري المساهمة ومحاولة العمل على إرساء قواعد، لتعليمية النصوص، وذلك بغية الرفع من المستوى المعرفي والإجرائي للطلبة من خلال تقديم أدوات واستراتيجيات تساعدهم على الأداء الجيد عند قراءة الإنتاج الأدبي. انطلاقا من تعريف "ميالاري" للتعليمية "بأنها مجموعة طرق وأساليب وتقنيات التعليم"[1]

اختيار مرحلة التعليم الجامعي لهذه الدراسة نراه مناسبا، بل يفرض نفسه من حيث إن الجامعة هي الميدان السباق للبحث والتطبيق للمكتشفات الحديثة، والتأصيل للمعارف الكلاسيكية. فضلا عن ذلك، فإن الطالب الجامعي يتميز بنضج أكبر وبحس نقدي أعمق يجعله يبحث عن آفاق جديدة لاستيعاب النصوص. كما أن المرحلة الجامعية تسمح بترسيخ وتطوير المعارف المكتسبة في المراحل التعليمية السابقة. ولذلك فإن على الأستاذ الجامعي أن يهتم أكثر بتعليمية المقاييس وأن ينوع من استراتيجيات التدريس ومسالك المعرفة لكي يؤدي كل مقياس الهدف المنشود من تدريسه.

نؤكد أن عملية عرض هذا النص على الطلبة لتعلم كيفية تحليله،لابد أن تأتي بعد اكتسابهم خلفية نظرية مستمدة من البنيوية الشكلانية ، والمقاربات السيميائية

---

(1) www. Infpe.edu.dz/COURS/Enseignants/Primaire/.../introduction.pdf2

والسردية مما يؤهلهم لهذه المهمة ؛ خاصة فيما يتعلق بالشخصيات وبنياتها، والزمن وتصنيفاته ووظائفه، والفضاء وأدواره في النص الأدبي،وتصنيفات النصوص وغير ذلك مما تتطلبه تحليلاتهم. ويجب دفعهم لبذل جهد شخصي للبحث عن المعلومات التي قد تنقصهم، أو تلك التي يحس الأستاذ أنهم لم يستوعبوها بطريقة جيدة، وذلك لتعويدهم الاعتماد على الذات،وأن يكونوا فاعلين في تحصيلهم العلمي بشرط ألا يتنصل الأستاذ من مسؤوليته كمشرف ومقوم للأخطاء ومرشد لمصادر المعرفة . إن عملية التعرض للخلفية النظرية ، ضرورة يمليها علينا وجوب تمثل هذه النظريات واستيعابها قبل الانتقال إلى الجانب التطبيقي . ويجب أن نشير إلى أن تعليمية النص المقترحة هذه تعتمد على سلسلة من الأسئلة تحفز الطلبة للإجابة عنها وتشكيل قراءات فردية: لقد اخترنا أقصوصة " مجرد بطاقة " للكاتب الجزائري : " أبو العيد دودو" المأخوذة من مجموعته القصصية "بحيرة الزيتون". أما معايير اختيار هذه الأقصوصة فتتلخص فيما يأتي:

كونها قصة قصيرة إذ إن عدد صفحاتها لا يتجاوز سبع عشرة صفحة. أسلوبها سهل واضح.و أحداثها تدور حول مواضيع آنية وحساسة بالنسبة للشباب. ثم إن بنية القصة متميزة حيث أنشئت عن طريق بنية متكررة: تبدأ بأمل سرعان ما يتلاشى وهذا يتم خلال ثلاث مرات في الأقصوصة، وهو ما ستفرزه عملية التحليل النصي لاحقا.

توجد ثلاثة أنماط من النصوص في هذه الأقصوصة وهي:

-النمط السردي من الصفحة 151 إلى 155.

-النمط الوصفي من الصفحة 151 إلى 155.

-النمط الحجاجي من الصفحة 155 إلى 157.

مع العلم أننا اخترنا ثلاثة مقاطع فقط لأصناف هذه النصوص، وسنشير إلى مقاطع أخرى صالحة لهذه التقنية فيما سيأتي، ونؤكد أن النص السردي لا يكون

عادة سردا خالصا ، وإنما تتداخل الأنماط النصية فيه ؛ إذ أن الباث يلجأ إلى توظيف عدة أنواع منها تساعده على إيصال الفكرة التي يريدها، ولذا من النادر جدا وجود نص أحادي النمط.

ونلاحظ أن الأنموذج المقترح يهدف إلى توضيح معنى الأقصوصة وعواملها مما يقودنا إلى إجراء التمرين النهائي والشامل ألا وهو تكوين "بطاقة قراءة للنص" .

I. النمط السردي:

وسنبدأ بإجراء عملية القراءة النصية عن طريق أسئلة قسمناها على ثلاث مراحل هي:

1-المرحلة الأولى:

وتتعلق بالقوى المحركة الموجودة في النص، أي الشخصيات ومسار الحدث أو الفعل. وتنحصر هذه المرحلة في السؤال الآتي: من يقوم بالفعل ؟

فضلنا أن نبدأ الدراسة بطرح هذا السؤال وذلك لكون الشخصية يمكنها أن تكون عنصرا مهما في النص السردي،بينما في أنواع أخرى من النصوص تستطيع أن تكون، في حقيقة الأمر، مشتملة على شخصيات بدون أن تعطى لها الأهمية نفسها ولا الوظيفة نفسها، وسنشرع في دراسة هذه الجانب حسب ما يأتي :

1-1- بنية الشخصيات وأماكن تحركها وأهميتها:

تبرز في هذا النص "مجرد بطاقة" شخصيتان متعارضتان. فمن جهة "خالد" مؤجر الغرفة: طالب جزائري مقيم بالنمسا، ومن جهة أخرى مالكة الغرفة: مواطنة نمساوية، ومكان تقابل هاتين الشخصيتين هو المسكن الذي يقيمان به: عبارة عن شقة.

ونجد أن مكان تحرك المؤجرة داخل شقتها ينحصر بين المطبخ وغرفة خالد وغرفتها هي. بينما نجد خالدا، في حقيقة الأمر، يتراوح وجوده بين الغياب والحضور، أي بين الجزائر التي يعيشها في خياله والنمسا التي يقيم بها.

1-2-تعيين مميزات الشخصيات :

يتم تحديد ذلك عن طريق الأسئلة : ماهي مميزات كل شخصية ؟

نجد من جهة خالدا وهو اسم عربي يدل على رجل. وفي الأقصوصة "مجرد بطاقة" نجده يشبه "الوليد الذي يرى النور لأول مرة "[1]. تتجلى لنا أوصافه أكثر من خلال اللوحة الآتية:

الصفات أو الخصائص	الشواهد من النص
-فهو الذي يتوسل.	-فقال متوسلا: أرجوك[2].
-وهو طالب يدرس بالجامعة.	-إن منحتي ستصل بعد أسبوع[3].
-و هو الذي يترك نفسه ليتكلم من أعماقه.	-أرجوك يا أماه [4].
-و هو الذي يأمل.	-ما دامت الشمس مشرقة فإن بلادي لن تعدم الدفء والحيوية والانطلاق[5]
-و هو الجائع .	-تقيه إحساسه بالجوع[6].
-وهو الضحية.	-أليس هذا ظلما؟[7].
-و هو الأجنبي.	-ذلك جزاء من يأوي أجنبيا[8].

ومن جهة أخرى مؤجرة الغرفة التي تحدد شخصيتها أولا من خلال أنها لا اسم لها، أي أنها مجهولة الهوية، وهذا هدف مقصود ستتطرق إليه فيما بعد. وصفاتها تبدو لنا من خلال اللوحة الآتية :

---

(1) أبو العيد دودو: "مجرد بطاقة" من المجموعة القصصية "بحيرة الزيتون"،مطبعة الشعب، الجزائر، د. ت . ص. 151

(2) المصدر نفسه، ص. 152

(3) المصدر نفسه، ص152

(4) المصدر نفسه، ص154

(5) المصدر نفسه، ص. 154

(6) المصدر نفسه، ص. 155

(7) المصدر نفسه، ص. 157

(8) المصدر نفسه، ص. 156

الصفات أو الخصائص	الشواهد من النص
-فلها صوت قاس.	-رنة صوتها المتحشب [1].
-إنها ضمير الغائب: هي.	-إنها هي فعلا [2].
-وهي التي تلح.	-الأجرة، أريدها اليوم أتسمع ؟ [3].
-وهي التي تهدد ولا مجال للمحاورة معها.	-لن أمهلك بعد، لا يمكن أن أنتظر مدة أطول يا عزيزي إما أن تدفع الأجرة أو تترك الغرفة لغيرك لمن يستطيع الدفع [4].
-و هي التي تشتم.	
-و هي التي تهين.	
-و هي ذات فكر ضيق الأفق.	-كفى ما من طبيعتنا أن نعيش على الوعود مثلكم [5].
-و هي تخفي أحاسيسها	-كم حاول غير مرة أن يعتقها من أفكارها الخاطئة... ولكن إرادة عدم الفهم كانت متسلطة بصورة مفرطة [6]
	-و لاحت على شفتيها ابتسامة خفية حاولت أن تخفيها عنه [7].

انطلاقا من هاتين اللوحتين نستطيع القول أن هناك من جهة "خالد" الطالب الأجنبي الفقير، المدان ومن جهة أخرى المرأة المضيفة؛ مواطنة من البلد المستقبل: النمسا وهي الدائنة. ومع هذا يبقى خالد هو الشخصية الرئيسة التي تجلب الاهتمام بسبب ظروف هجرته التي أملتها عليه أوضاع بلده السياسية، والتنظيم الاجتماعي

---

(1) المصدر السابق، ص. 151

(2) المصدر نفسه، ص. 151

(3) المصدر نفسه، ص. 152

(4) المصدر نفسه، ص. 153

(5) المصدر نفسه، ص. 153

(6) المصدر نفسه، ص. 153

(7) المصدر نفسه، ص.153

المعمول به في المهجر، وهذا يدفعنا للتطرق إلى العلاقات بين الشخصيات: وهي العلاقات التي يشيدها النص بين خالد والمؤجرة ؛ علاقات تتسم – من خلال معجم ألفاظ النص –بالهجوم والخلاف والتعارض، كما يتضح لنا من خلال اللوحة الآتية :

الشخصيات	صيغة تحديد الأفعال	صيغ تحديد الشخصيات	الدور (كينونة الغرض)	الفعل
خالد	حقل معجمي يتسم بالخوف: جف ريقه [1]	و هو أجنبي متوسل	الضحية	وهو الموضوع
المؤجرة	حقل معجمي يتصف بالإلحاح: لن أمهلك بعد ... لا يمكن. [2]	و تتصف بالصوت الخشبي: نعجة مريضة ونسر جائع.	و هي المهاجمة	الفاعل.

يتجلى هذا الصراع في:

1–3–البنية العاملية: (Le schéma actantiel) [3]المبينة أدناه:

---

[1] المصدر نفسه، ص152.

[2] المصدر نفسه، ص152.

[3] ينظر المراجع الآتية:

جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السردية، والخطابية، ترجمة: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007.

رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر: الجزائر، 2000.

سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.

سامي سويدان: في دلالية القصص وشعرية السرد، دار الآداب، بيروت، ط1، 1991.

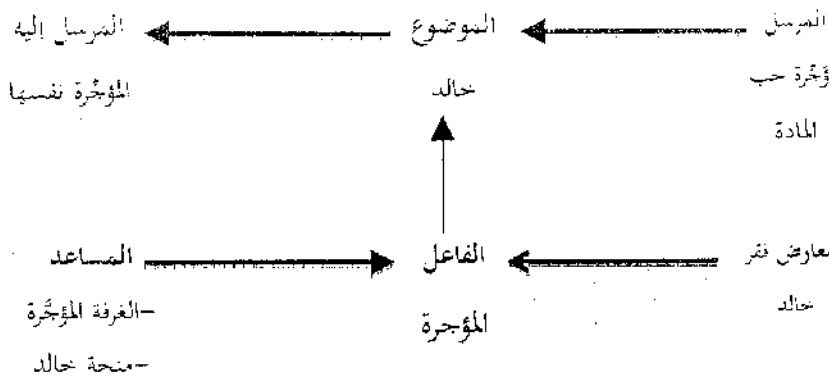

هدف التحليل الذي قمنا به يرمي إلى اكتشاف نوعية العلاقات التي تربط بين الشخصيات في مرحلة معينة من الحكاية، بمعنى أن عملية التحليل هذه هي تعريف بالوضعية النموذجية حسب توماتشيفسكي (Tomachevski) [1] وضعية تشتمل على روابط متناقضة حيث تريد الشخصيات تغييرها بطرق مختلفة. ونستطيع تمييز تطور الحكاية في هذه الأقصوصة كتطور وضعية معينة إلى وضعية أخرى. وكل واحدة منها تتميز بوجود تناقض وتعارض بين المصالح وأيضا بالصراع بين الشخصيات الذي يتجلى في الصراع بين الفاعل والمعارض.

و يمكن أن نحدد هذا أكثر في وجود ضحية ومعتد. وهذا يخفي وراءه وضعية أخرى تتجلى في صراع المغرب العربي وأوروبا، هذه الأخيرة ذات القيم الحضارية الغربية والتي تسودها العلاقات المرتبطة بالمادة والمصلحة، وهي تتعارض مع قيم الحضارة المغاربية والتي هي جزء من الحضارة العربية الإسلامية التي تصطبغ فيها العلاقات الإنسانية بفيض من الأحاسيس ومشاعر الرحمة.

بعد دراسة الشخصيات والتعرض للعلاقات التي تربط بينها ننتقل إلى :

---

[1] B.Tomechevski: Thématique, trad. T. TODOROV, in Théorie de la littérature, Seuil, Paris, 1966.

2 – المرحلة الثانية:

وهي تتعلق بالتسلسل الزمني، والمجسد في السؤال الآتي : متى ؟

في البداية نقوم باستخراج الإشارات الزمنية. فالنص يفتتح بالعبارة الآتية: "ولم يكن يتوقع رؤيتها في هذا الصباح الميت" [1]. إن هذه الإشارة الزمنية مقدمة كزمن لـ "الما قبل" وهي تحضر إلى مشهد يسميه "بروب" وظيفة الإساءة[2]. "في الليلة السابقة" وهو الذي يتم فيه حدوث هذا المشهد مقابل "الما بعد": "إذ سيقيم عندها بعدُ ليلة أو ليلتين، بل ربما أسبوعا بأكمله"[3]. وهكذا نجد في النص نظام التسلسل الزمني الذي نفضل عليه التنظيم المنطقي لأنه ميزة أساسية لهذا السرد. ولذا نجد أنفسنا منقادين إلى دراسة الأداة السردية المتجلية في:

2–1– العنصر المربك للأحداث :

انطلاقا من تركيبة النص ومن الإشارات الزمنية التي يسجلها الطلبة سيتمكنون من جمع العلامات الآتية:

أ. **النظام النحوي:** وهو الذي يتضح من خلال المثال الآتي : " حين فتح... فتبين له أنها هي " [4]. فيدرسون هنا جملة الشرط ودورها في إبراز المعنى.

ب. **النظام الدلالي:** كما يبدو لنا من الجملة الآتية : " لم يكن يتوقع رؤيتها في هذا الصباح الميت"[5] حيث نلاحظ وقوع شيء ليس على مستوى نظام الحكاية، وإنما على مستوى السرد. إذ يوجد انقطاع يعود إلى تدخل عنصر مربك على النص.

---

[1] أبو العيد دودو: "مصدر سابق، ص151.

[2] فلادمير بروب: مورفولوجيا الخرافة، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط1، 1986.

[3] أبو العيد دودو: "مصدر سابق، ص155.

[4] المصدر نفسه، ص 151.

[5] المصدر نفسه، ص 151.

2-2- الحالات الأخرى للسرد:

الحالات الأربع المتبقية يجب اكتشافها من طرف الطلبة وذلك بالاستقراء المنطلقي الذي ينطلق من العنصر المربك والمتمثل في الرجوع الغير متوقع للمؤجرة. ويصل إلى الوضعية البدئية التي افتتح عليها النص، ثم سفر مؤجرة الغرفة، والمهلة التي اعتقد خالد أنه ربحها من خلال سفرها. ويجب أن يفهم الطلبة أن هذه المهلة تحمل في طياتها عنصر التغير أو التحول الذي سيتم في الفقرة الثانية الناتج عن إلحاح المؤجرة على دفع الأجرة وعدم قدرة خالد في أن يحقق لها هذه الرغبة في الحال، ولذلك نجد الطرد والبرد والثلج هواجس تسكن كيان خالد. وبين إلحاح المؤجرة (و هي عنصر مربك) وبين اتفاق لأجل ممكن نجد الوضعية النهائية للنص تتموضع وذلك بإضافة عناصر أخرى؛ فمن ناحية نجد تغير معاملة المؤجرة التي أصبحت أكثر إنسانية وتبتسم، ومن ناحية أخرى نجد إبرام عقد متمثل في الانتظار وذلك بقولها " حسنا أنا في انتظار المفاجأة" [1].

وفي ما يلي نجد توضيحا لهذه الوضعيات من خلال الترسيمة الخطية (Le schéma linéaire) [2] الآتية:

I الوضعية البدئية	II الوضعية الدينامية (التحول)			III الوضعية النهائية
توازن ناتج عن غياب المؤجرة، وشعور خالد بالارتياح	العنصر المربك: عودة المؤجرة غير المتوقعة	الحدث: طلبها للأجرة	الحل: إعطاؤها مهلة لخالد	عودة التوازن: حيث يشعر خالد بالارتياح
1	2	3	4	5

[1] المصدر نفسه، ص 155.

[2] ينظر: فلاديمير بروب: مرجع سابق.

J.M.Adam: Le texte narratif Nathand, Paris, 1985.

J.P.Goldenstein: Pour Lire le romon. De Boeck, Duculot, 4ed, 1986.

3- المرحلة الثالثة:

أما النقطة الأخيرة التي نتعرض لها فهي إشكالية الراوي: ومعنى ذلك أننا سنبحث عمن يروي الأحداث؟ يستطيع الأستاذ أن يبدأ بسؤال آخر: من يرى؟ لينتقل إلى هذا السؤال: من يروي؟. وهنا نستطيع إدراج مفهوم الراوي، من حيث - على مستوى السرد ـــ هو الذي يعطي معلومات ضرورية ليفهم المتلقي السياق؛ كما أنه مهم لمتابعة الحكاية. ونورد مثالين ينيران الطلبة وهما:

3-1-لماذا وضعت هذه المعلومة الخاصة بتقليد غربي؟ المتمثل في الاحتفال "بعيد الموتى". ويتم فيه الذهاب لزيارة المقبرة لوضع الزهور على القبور وتذكر موتاهم. إنها معلومة لتموضع السرد داخل حيز مكاني معين.

ثم نجد أيضا:

3-2- المعلومة المتعلقة بخالد وصور الحرب في الجزائر. وهنا تتم مراجعة الفرضية التي من خلالها يتدخل الراوي بصورة صريحة. فالمتلقي يتفطن إلى أن المقصود هو شخص أجنبي في حالة انقطاع عن بيئته الأصلية التي هي عرضة للحرب والعنف. وهو أيضا عرضة لمشاكل في بلد الغربة، الأمر الذي أوجد عنصر الانتظار والتوقع، وفتح الحقل السردي. والنص هكذا يبدو كاستراتيجية يجب من خلالها إبراز المقاطع السردية وذلك من أجل اكتشاف دينامية وتلاحم البنية الداخلية للنص.

إن مقدمة القصة تتجه إلى منحى الخلاف وهو المتمثل في تعارض شخصيتين تتصارعان هما: خالد والمؤجرة. بالإضافة لوجود شخصيتين أخريين هما: الراوي الذي يجسد الشخصيات والصراعات في الأقصوصة، ويضمن أيضا تطور السرد، وشخصية القارئ الذي يفسر النص.

كل هذا يتم تحت تأثير فقدان التوازن (كطلب الأجرة من طرف المؤجرة). هذه المفاجآت التي تكشف الرهانات المسببة للخلاف في النص، والذي يكمن في مرجعية الواقع الآني (أريد الأجرة اليوم) وفي التوفيق لتحقيق هذا الطلب (أتسمع ؟، نعم) أي بين سماع الكلام وإنجاز الفعل، فهو سمع الكلام ويتوقف الأمر هنا. وفي الختام يمكننا أن نقيم هذه الخطوات تقييما تربويا إذ إنه وفي نهاية هذه التمارين يكون الطالب قد كون حصيلة حول:

-المعارف والمفاهيم النظرية.

-التتالي المتكون من السرد والحكاية.

-التسلسل الزمني والمنطقي.

فقد قام الطالب بتطبيق تقنية قراءة النصوص وتدرب على إنجاز ترسيمة البنية العاملية والخطية المنظمة للسرد، وأيضا التعود على إيجاد التعارض في الشبكات الدلالية في النص. كما أنه تعلم أن يحدد مكونات الشخصيات وأن يحلل العلاقات التي تربط بينها، وأن يجد طريقة توزيعها ويقوم باستنتاجات؛ ويكشف ما هو غير مصرح به في الإبداع الأدبي.

II- النمط الوصفي:

يقوم هذا النص على شخصيتين هما: خالد والمؤجرة، وفيه وصف لكليهما. أما الشخصية الأولى المقدمة لنا فهي شخصية خالد، ثم تظهر الشخصية الثانية وهي المؤجرة. هذه الأخيرة تُلمح كصوت قبل أن تُرى جسدا، إنها تفتح المقطع قبل غلقه. وسنكتفي بدراسة هذه الشخصية الرئيسة، ولذلك سنرسم لوحة تبين مميزاتها كما سيأتي:

تميز المؤجرة جسميا	تميز المؤجرة نفسيا	تميز المؤجرة سلوكيا وردة تحركاتها
-نبرة صوتها مضطرب[1].	-عدم الاهتمام بظروف الآخرين.	-كانت واقفة قرب سرير نومها[1].
-عيناها تلمعان كقرصي زجاج[3].	قاسية.	- إلا أنها انقضت عليه كنسر جائع[4].
-شعرها معقوف[5].	متعالية.	-لم تسمع ما قاله[6].
-ذقنها متهدل علقت بأسفله شعيرات طوال سود[7].	غير متفهمة لغيرها.	-جالسة قرب الموقد مطرقة[8].
-صدرها يتدلى كصرة شحاذ[9].	-متقلبة المزاج.	-تنشد روحه بأظافر من لهيب[10].
-جبهتها مكورة كيقطينة ذابلة[11].	-بخيلة.	-تميل رأسها كنعجة[12].
	-انتهازية.	-أخذت تتنقل بين باب غرفتها وبين الموقد البارد[13].
		-عادت تصرخ[14].
		-تشتم وتلعن[15].

---

[1] المصدر السابق، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص151.

[3] المصدر نفسه، ص151.

[4] المصدر نفسه، ص153.

[5] المصدر نفسه، ص151.

[6] المصدر نفسه، ص153.

[7] المصدر نفسه، ص151.

[8] المصدر نفسه، ص154.

[9] المصدر نفسه، ص151.

[10] المصدر نفسه، ص154.

[11] المصدر نفسه، ص154.

[12] المصدر نفسه، ص152.

[13] المصدر نفسه، ص153.

[14] المصدر نفسه، ص152.

[15] المصدر نفسه، ص153.

إن قراءة أعمدة اللوحة السابقة تتيح لنا معرفة ما يأتي:

1-الصفات الجسمية:

وهي مجسدة في عنصرين هما: الصوت والوجه الذي تعطى فيه للعينين أهمية خاصة لأنه إذا كانت العينان هما "مرآة الروح" فالكلام يمنح السلطة.

ولوصف هذين العنصرين نجد الراوي يوظف حقلين معجميين متقاربين ومتكاملين هما: "الخشب" و" الزجاج". وهذا الاستعمال له إيحاءات معينة، وهي أن هذه الشخصية "متحجرة" و"غير إنسانية"، ودائما يميزها بضمير الغائب "هي" الذي يطلق عليه "إميل بنفنيست "Émile Benveniste"[1] ضمير اللاّ إنسان". وهو وصف سيؤكد المنحى النفسي والسلوكي لها. الأمر الذي يؤدي إلى تطابق المظهر والجوهر.

2- الصفات النفسية والمعنوية:

وهي تتعلق بما يوحيه الجوهر والمظهر وذلك يبدو من خلال حقل معجمي يتسم بانعدام التواصل، فهي شخص لا نسمع إلا صوته:

"فتح عينيه على رنة صوتها"[2].

"ولكنه سمعها تقول"[3].

"عادت تصرخ"[4].

"تشتم وتلعن"[5].

كما أنها شخص منغلق على نفسه ويرفض كل حوار مع الآخرين:

"لن أمهلك بعد"[6].

---

[1] Emile Benveniste, problèmes de linguistique générale, Paris, Gallimard, 1974

[2] المصدر نفسه، ص.151

[3] المصدر نفسه، ص.152

[4] المصدر نفسه، ص.151

[5] المصدر نفسه، ص .151

[6] المصدر نفسه، ص.152

"لا يهمني متى تصل منحتك" [1].

"أريد الأجرة وكفى" [2].

و هذه الصفة تجد تفسيرها خلال الجملة التالية:

"إرادة عدم الفهم كانت متسلطة عليها بصورة مفرطة"[3].

مما يشير إلى العجز الكامل للمؤجرة عن الانفتاح على الغير. وهذه الصفة تسيطر على سلوكياتها التي يشير إليها الراوي وذلك بواسطة تشبيهها بالحيوان، فهي:

كنعجة مريضة" [4].

"كنسر جائع" [5].

هذا يجعلنا نتوقع صفة عدم المبالاة بهموم الآخرين إلى درجة لا يمكن تصورها، ونزوعا نحو سلوك مفترس لا نهاية له. ومن ثمة، تقودنا مجموع الملاحظات السابقة إلى توضيح وإضاءة النقطة الثالثة هي:

3-القيم الإيديولوجية الخفية في النص:

والمقصود هنا هو إظهار مجتمع غربي لا يترك أي مكان للأحاسيس، والذي تؤسس فيه فلسفة الحياة على الفردية والربح. وهي تتلخص في عبارات تحمل في طياتها الأدلة التي تبرهن بها المؤجرة عن وجهة نظرها، وهذه العبارات هي:

"لا بد من العيش "[6].

"كيفما كانت وسائله" [7].

---

(1) المصدر نفسه، ص.152.

(2) المصدر نفسه، ص.151.

(3) المصدر نفسه، ص.153.

(4) المصدر نفسه، ص.152.

(5) المصدر نفسه، ص.153.

(6) المصدر نفسه، ص.157.

(7) المصدر نفسه، ص.157.

"أجل هذه هي الحياة عليك أن تدفعك" [1].

إنه مجتمع يتحكم فيه قانون الغاب، مجتمع خال من الإنسانية والتراحم، وهو الذي شخصته المؤجرة فكانت الأنموذج المثالي له.

أخيرا وبعد إنجاز الخطوات السابقة من الدراسة، سنجد أن الطالب قد حسن تعليمه البيداغوجي وذلك بتطبيقه وتكييفه للأسئلة المطروحة في شبكة قراءة النصوص الوصفية. كما أنه قيم معاني النص إذ اكتشف تلاحم الشخصية داخل بنية النص. فبالرغم من تقسيم الوصف إلى وصف المميزات الجسمية والمعنوية، فصورة الشخصية موحدة لأن المظهر يوحي بالجوهر.

إن التلاحم موجود أيضا في الوحدة المعنوية لعبارة انعدام الإنسانية، أين نجد التكرار والتطور فيها يضمن دينامية النص إلى أن يصل إلى الرسالة السردية في النص وهي أن المؤجرة ليست بإنسان لأنها تنتمي إلى نوع معين من المجتمعات، إذ إن الصورة المعنوية للمؤجرة هي نقطة انطلاق لفلسفة وجود، لأن القيم التي تجسدها هي قيم للبلدان المتطورة المرتكزة على الفردية والمادية.

III-النمط الحجاجي:

وتتم دراسته من خلال ما يأتي:

1-نبدأ بتحديد المكان والزمان للمقطع الحجاجي المأخوذ من الأقصوصة "مجرد بطاقة"، إذ وبعد الاتفاق المبرم بين خالد والمؤجرة يلتقيان للمرة الثانية وذلك في "المطبخ" وفي " الصباح".[2].

2-ثم نقوم بتحديد الشخصيات وهي: خالد والمؤجرة. وتتم دراستها عن طريق صيغ تمييز وصفها. فالمقصود هنا هو أن يقوم الطلبة بإبراز صيغ التمييز التي تصف بها المؤجرة نفسها وتصف خالدا أيضا.

---

[1] المصدر نفسه، ص.157

[2] المصدر نفسه، ص155

بعد أن قمنا بتحديد سياق الصراع بينهما في النمط السردي ، وتوضيح صورة الشخصيتين خلال تحليل النمط الوصفي، نجد هذا يقودنا إلى اكتشاف الميدان الحقيقي للصراع؛ وهو الصراع المتعلق بالقيم الأخلاقية، وعلاقة الإنسان بالمادة. ويتجلى ذلك فيما يأتي:

كيفية تمييز المؤجرة لنفسها	كيفية تمييز خالد
-امرأة تربية: "أردت إعلامك لا غير" [1].	-إنه شاب له أصدقاء وحتى صديقات والتوابي يمنحن له "تكتيرا" "لقد خابرك بعض أصدقائك ولك صديقات أيضا" [2].
-تملك معلومات حوله:" هراء ولك صديقات أيضا"[3].	-تاكر للجميل لأنه أجنبي : " وذلك جزاء من يأوي أجنبيا" [4].
-تؤدي خدمات لغير:" لقد خابرك بعض أصدقائك وأنت غائب عن البيت" [5].	-مستهلك يجب أن يخضع لنفس القوانين مثلها بالرغم من وضعيته كمؤجر: "أنا أيضا ملزمة بدفع ثمن الاشتراك في الهاتف وحتى عند عدم استعماله" [6].
-تحية عند العرفان بالجميل:" وذلك جزاء من يأوي أجنبيا" [7].	- تاكر جميل .
-حاجة إلى المال: "لا بد من العيش" [8].	
-رؤية واقعية: "أجل هذه هي الحياة"[9].	
-ما من طبيعتنا أن نعيش على الوعود[10].	
-و هي تتصرف بصدق وعمل: "إذا لم تصدقني فاذهب إلى دائرة البريد واسأل"[12].	

تنتقل إلى دراسة النقطة الثالثة والمتمثلة في:

---

(1) المصدر نفسه، ص156

(2) المصدر نفسه، ص156

(3) المصدر نفسه، ص156

(4) المصدر نفسه، ص156

(5) المصدر نفسه، ص156

(6) المصدر نفسه، ص156

(7) المصدر نفسه، ص156

(8) المصدر نفسه، ص157

(9) المصدر نفسه، ص157

(10) المصدر نفسه، ص153.

(11) المصدر نفسه، ص153.

(12) المصدر نفسه، ص157

3-الرسالة المقصودة من النص الحجاجي :

لكي نستخرج الرسالة المقصودة يجب أن نقارن بين بداية المقطع ونهايته وذلك من: "يفضل أن ينتظر إلى أن تخرج... كان يعرف أن في طبيعتها تقلبات الطقس"[1] إلى ما هو موجود في نهاية المقطع والمتمثل فيما يلي: "وسكت... فوضعه يتطلب مزيدا من الحكمة والروية"[2].

ففي بداية النص نجد أن خالدا الذي يعرف مزاج المؤجرة التي تتراجع في قراراتها، أراد أن يتجنب رؤيتها وذلك لخوفه من تراجعها عن قرارها فتطلب منه أن يدفع في الحين الأجرة أو يغادر الغرفة. ولكنه وجدها بالمطبخ، والمقطع ينتهي أيضا بنفس الشعور بالخوف من طرف خالد بأن تراه مرة أخرى وتطرده، الأمر الذي يشير إليه خالد بصريح العبارة. فهذا المقطع ما هو إلا تأكيد لعلاقة هذه المرأة بالمادة والقيم التي تنظم المجتمعات الغربية، حيث إن المؤجرة ندمت على معاملتها الكريمة مع خالد وذلك عندما أمهلته في دفع الأجرة، فعملت على عقابه بطريقة غير مباشرة وذلك بإضافة تكاليف الهاتف لأجرة الغرفة حتى ولو لم يستعمله. إنها طريقة لمعاقبته على التأخر في الدفع. ومن تحليل هذه الرسالة السردية ننتقل إلى:

4-نمو النص:

والمقصود هنا هو اكتشاف مسار وطريقة إيراد البراهين والأدلة، وذلك باستخراج الوحدات الدلالية والمنطقية الموجودة في المقطع. ولهذا يمكننا أن نرسم لوحة نوضح فيها التعابير المترادفة والمتضادة، وذلك لاكتشاف طريقة طرح الموضوع والأدلة الأساسية التي يرتكز عليها.

وفيما يأتي اللوحة:

---

[1] المصدر نفسه، ص157

[2] المصدر نفسه، ص157

تكرار وتضاد العبارات	تحديد العبارات	أدلة
1-تكرار:		تذكير بفاتورة الهاتف
أجرة الهاتف، الورقة	من: استوقفته قائلة	
لا يهم.	إلى: ... منذ أسابيع	
أنت غائب	من: فأجابت ...	
	إلى: لم استعمله.	عدم وجوده في البيت
2- تضاد:	الفقرتان : 2 و3 المحددتان	الإعلام له ثمن.
لا تنس / نسيت.	أعلاه	
غائب / حاضر.	الفقرة 3	
استعمال / عدم استعمال.	من: ابتسمت	
دون أن يفهم / أردت أن أفهم	إلى: سكت	
تعمدت إثارته/ حاول أن يهدأ		
هذا ظلم / ليس ظلما		
أنت أجنبي / أنا لم اعتبر أجنبيا		
3- تكرار في القواعد النحوية والصرفية:		
تكرار للنفي والإثبات.		المؤسسة مسؤولة عن
التعارض:	الفقرات الثلاث السالفة الذكر	الإعلام وهي دائرة البريد
أنا / أنت.		التي سنت هذا القانون.
أنت / دائرة البريد (هي).		

اعتمادا على اللوحة السابقة وعلى المعلومات التي تمت الإشارة إليها، يجب أن يهتم الطلبة بتبادل العبارات أي الحوار بين الشخصيات. وذلك لأن فيه تحديد الأدلة المذكورة عن طريق طرح الأسئلة التالية: ماهي هذه الأدلة ؟ وما مصدرها ؟ وكيف يعبر عنها ؟

أول ملاحظة هي أن الفقرة تستهل بطلب مؤكد "لا تنس أجرة الهاتف أيضا"، الأمر الذي يثير حفيظة خالد المشار إليه بعبارة: أجرة الهاتف ؟! الإشارة

التي تدل عليها علامة الترقيم المضاعفة: تساؤل وتعجب. إن هيئة خالد المضطربة يقابلها هدوء بل وتجمد المؤجرة. طلب المؤجرة المتجلي في عبارة "أيضا" و" لا غير" مقدم كتذكير بسيط بعقد سابق ولا جديد في القضية. وجواب لا يحمل النفي المطلق مادام يقول: "لم أستعمل الهاتف منذ أسابيع". مما يتيح افتراض أن المؤجرة لم تخطئ كثيرا، وهذا يمنحها فرصة وتصبح وضعيتها أقوى مقابل وضعية خالد. إنه لم يستعمل الهاتف ولكن أصدقاؤه استغلوه إذ أنهم هتفوا له.

فخالد ينكر ويتهمها بالظلم، ومن هنا نجد المؤجرة تغير إستراتيجيتها حيث تنقل الخطاب لتضعه في إطار علاقات شخصية الأمر الذي يجعله يتذكر وضعيته المهشة: " من جديد طفرت إلى ذهنه صور البرد والصقيع" وهذا يوضح علاقة عدم الاستقلالية التي تربطه بهذه المرأة، فيتراجع قليلا ويحاول مصالحتها:" فحاول أن يهدئ من روعها" ووعيا منها بانتصارها تنقل الخطاب مرة أخرى إلى إطار أكثر شمولية، وبالتالي تبرئ نفسها نهائيا حيث تذكر بقوانين المجتمع الذي تعيش فيه، والتي تخضع له كمواطنة صالحة تعيش في انسجام مع مجتمعها وواقع الحياة وما يفرضه الزمن على شخص يعيش خارج الواقع وخارج الزمن:" لا بد من العيش" و"هذه هي الحياة". ولكي تتخلص منه تلجأ إلى استعمال برهان مرتكز على السلطة، وتحيله إلى مرجعية مخاطب مجهول الاسم ويملك سلطة وهو: دائرة البريد.

إذن فهناك قلب للوضعية:

من خالد المظلوم إلى ← خالد الظالم

و من المؤجرة الظالمة إلى ← المؤجرة المظلومة

يجب ملاحظة الضغط المنجز بواسطة التكرار " ادفع أجرة الهاتف... لا تنس دفع أجرة الهاتف"[1] وأيضا: "أردت إعلامك لا غير... عليك أن تدفع وكفى" [2].

---

[1] المصدر نفسه، ص155

[2] المصدر نفسه، ص157

كما يوجد تكرار من نوع آخر وهو المتمثل في ترديد خالد لما تقوله المؤجرة، فهي تقول له: "ادفع أجرة الهاتف" وهو يردد: "أجرة الهاتف؟!" [1] إلخ... ثم نجدها تجيب عن أسئلة خالد المستغربة بقولها "لا يهم" [2]. وهذا يجعل كل احتجاج أو مناقشة عملية غير مفيدة. وذلك لأنها غير مؤسسة حسب وجهة نظر مالكة الغرفة.

ولكي نفهم حالة عدم الاهتمام من طرف المؤجرة، يجب أن نقرن طلب خالد "إني أردت أن أفهم كيف ألْزَم بدفع أجرة هاتف لم أستعمله" [3] ترد المؤجرة " فاذهب إلى دائرة البريد واسأل"[4]. وهذا الجواب غني بالدلالات حيث إنه يبرئ المؤجرة (المظلومة) ويبرهن على جهل خالد، هذا الأجنبي الذي لا يعرف نظم المجتمعات المتقدمة. إذن فالمواطنة المتساوية ليست هي سبب الخلاف، ولكن السبب يرجع إلى وضعية خالد الأجنبي الغير مطلع على قوانين البلد المضيف،وهذا الأمر هو سبب الخلاف وسبب المشكل الذي يعيشه خالد. وباختصار شديد خالد هو الظالم، فهناك انقلاب للوضعية فالمظلوم أصبح ظالما.

تقييم بيداغوجي.

في نهاية هذا التحليل يكون الطالب قد أحاط بما يلي:

- التقنيات: حيث تم اكتشاف الأدلة وتنظيمها وذلك باستقراء النص عموديا.
- مقارنة بين بداية ونهاية النص من أجل ملاحظة تدحرج المعنى ونقل الخطاب من وضعية إلى أخرى.
- اكتشاف مختلف صيغ نمو النص الحجاجي .
- لقد تعلم الطالب الطرق البيداغوجية لمساءلة النص المبني على علاقات قوى.

---

[1] المصدر نفسه، ص155

[2] المصدر نفسه، ص156

[3] المصدر نفسه، ص156

[4] المصدر نفسه، ص157

اقتراح لدراسة الأقصوصة كاملة

عنوان الأقصوصة: مجرد بطاقة.

منشورة ضمن المجموعة القصصية: بحيرة الزيتون .

المؤلف : أبو العيد دودو.

دار وتاريخ النشر : الجزائر – مطبعة الشعب – د.ت.

إن تحليل المقاطع الثلاثة الذي قمنا به سابقا يكون في إطار دراسة شاملة للأقصوصة. وسيتم بتحليل مقاطع أخرى نقوم بتحديدها. تجرى هذه الدراسة في بداية السنة الجامعية، إذ أنها ترسي قواعد تقنيات تحليل النصوص الأدبية، وتثير اهتمامهم لقراءة نصوص أطول: كالرواية والمسرحية.

ولتدريس هذه الأقصوصة نطلب من الطلبة أولا قراءتها كعمل فردي دون توظيف مراجع، وتتم عملية تحليل هذا النص عبر توزيعه على عشر حصص:

الحصة الأولى: تكرس لتحليل المقطع الأول، وهو النص السردي ويبدأ من الصفحة 151 وينتهي في الصفحة 155 (من غشت صدر ... إلى فلا أكل).

الحصة الثانية: توظف لدراسة المقطع الثاني وهو النص الوصفي، الذي يبدأ من الصفحة 151 وينتهي في الصفحة 157 (من غشت صدر إلى... وطنه). ويدرس من أجل رسم صورة المؤجرة.

الحصة الثالثة: يعاد فيها تحليل المقطع السابق: ويبدأ من الصفحة 151 وينتهي في الصفحة 157 (من غشت صدر إلى... وطنه). ترسم صورة لخالد. وتحضر هذه الدراسة من طرف الطلبة في البيت قبل الشروع فيها من أجل تدريبهم على ذلك.

الحصة الرابعة: تخصص لتحليل المقطع الحجاجي من الصفحة 151 إلى الصفحة 157 (من لا تنس أجرة الهاتف ...إلى ... كالحنظل).

الحصة الخامسة: يكرس للتقييم الجزئي الذي ينصب على ربط نتائج تحليل الحصص الأربع السابقة، ثم القيام بقراءة موجهة للمقطع الممتد من الصفحة 157

إلى الصفحة 159 ثم المراجعة النهائية وذلك للتحضير للانتقال إلى المقاطع الأخرى.

الحصة السادسة: تتعلق بالنص السردي، يبدأ من الصفحة 159 إلى الصفحة 161، (من في صبيحة اليوم الثاني... إلى... طاب يومك).

الحصة السابعة: تكرس للنص الوصفي الخاص برسم صورة شخصية. وينطلق من الصفحة 161 إلى الصفحة 163 (من طاب يومك. إلى فلنترك السياسة).

الحصة الثامنة: وتخصص للمقطع السردي الذي يتعرض لعلاقة حب دون مستقبل. ويبدأ من الصفحة 165 إلى الصفحة 167 (من عفوك لقد تذكرت شيئا... إلى... لا بيده).

الحصة التاسعة: توظف للمقطع السردي، والتي يمكن إعطاؤها عنوان: انقطاع الأمل ويبدأ من الصفحة 168 إلى نهاية الأقصوصة (من فعاد إلى غرفته ... إلى... انتهاء إقامته).

الحصة العاشرة: هذه الحصة تكون مكرسة لإعادة دراسة الأقصوصة إجمالا: وذلك من أجل توضيح بنيتها. وهي بنية مرتكزة على التكرار. ففي واقع الأمر نسجل ثلاث مراحل مهمة، كل واحدة تبدأ بانفراج لوضعية وتنتهي بانسدادها:

الانسداد الأول: تصرف فيه رحمة ثم عودة إلى القسوة .

الانسداد الثاني: علاقة بين خالد وبروتشيكة، والافتراق.

الانسداد الثالث: أمل في المنحة، وخيبة كبيرة، والطرد من النمسا

مواصلة لهذا النوع من الدراسة:

تعدد التمرينات وتنويعها يمكن أن تكسبه تجربة وتمنحه القدرة لدراسة شاملة لمؤلف أدبي كامل. والتوسعة الأكثر أهمية حسب ما يبدو هي الانتقال إلى الكتابة و الإنتاج. و هذا يمكن أن يكون بواسطة تحرير مقال، أو إنجاز بطاقة قراءة.

في الأخير يمكن القول إن نشاط القراءة لا يكتمل معناه إلا من خلال مؤلفات كاملة، وعلى الأستاذ أن يتيحها للطلبة بواسطة قراءة ودراسة وتحليل دقيق ومنهجي للمقاطع المكونة لها أو بتقديم عروض وبحوث بحيث يجعلهم يتابعون مظاهر أدبيتها الأكثر أهمية. وأيضا مظاهر تلاحمها التي جعلت منها نصوصا إبداعية؛ من أجل هذا ركزنا عملنا على أقصوصة تحتوي على ثلاثة أنماط من النصوص المقترحة: النص السردي والوصفي والحجاجي.

وعلى كل فإن هذه القراءة لا تدعي لنفسها أنها القراءة الوحيدة، وأنها أنتجت كل معاني النص وأحاطت بكل جوانبه، وإنما هي محاولة، وبإمكان الأستاذ مع طلبته الذهاب إلى الأبعد، والتطرق إلى مناحي قد يراها مهملة ، واستخراج معاني وتأويلات يجد لها دلالات في النص.